# قاسم أمين

## ممن غيّروا حياتنا

أهم ما يعرفه المعاصرون عن قاسم أمين أنه صاحب دعوة تحرير المرأة . ونحن كلما تذكرنا تطور المرأة المصرية المعاصرة . ذكرنا اسم هذا المصرى العظيم المقدام ، وقد نذكر معه اسم صديقه الجليل الإمام محمد عبده الذى وقفت ضدّه قوى الرجعية لأنه استقبل امرأةً فرنسيةً سافرةً فى أحد أروقة الأزهر الشريف .

ولم تكن مشكلة المرأة هى المشكلة الوحيدة التى عانى منها المجتمع المصرى فى عصر قاسم أمين ، فقد تعرضت مصر كلها لحملة شرسة بعد سقوط الثورة العرابية واحتلال الإنجليز لمصر عام ١٨٨٢ ، ووجهت إلى المصريين اتهامات كثيرة ، كان الهدف منها إضعاف روحهم المعنوية ، وإخضاعهم لسيطرة الاحتلال .

وكان قاسم أمين يعرف حقائق المناقشة التاريخية الكبرى التى دارت فى باريس خلال شهر مارس ١٨٨٣ بين جمال الدين الأفغانى وبين المفكر الفرنسى أرنست رينان الذى كان يعمل فى ذلك الوقت مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية .

لقد ادعى رينان أن الإسلام سبب تخلف الشرق ، فتصدى له الأفغانى وأفحمه ، حتى اضطر المفكر الفرنسى إلى الاعتراف بجمال الدين ، وقال إنه رأى فيه مثيلاً لابن رشد .

ولكن الحملة لم تتوقف . ولكنها بدأت تتجه إلى مصر التى وقعت فى براثن الاحتلال ، باعتبارها عصب العالم الشرقى والإسلامى ، والقادرة على مواجهة الغزو فى كل عصر . فهى التى ردّت الغزو التتارى والغزو الصليبى ، وهى التى ردّت حملة بونابرت عن الشرق ، وهى التى كسرت جيش فريزر البريطانى فى حوارى رشيد .

وكان الذى تزعم الحملة الجديدة ضد المصريين رجل فرنسى اسمه ( الدوق هاركور ) أحد قضاة المحاكم المختلطة . وقد أصدر كتابا كان استمرارًا لحملة منظمة ضد مصر التى اتجهت نحو أوربا تطلب منها العون فى قضيتها ضد بريطانيا ، فاتخذت بريطانيا من أجهزة الإعلام المعروفة فى ذلك الوقت سلاحًا تحارب به المصريين وترميهم بالتهم الباطلة ، حتى تتبدد قضية الجلاء

وسط الزوابع المثارة على صفحات الجرائد أو الكتب .

ولكن بعض أحرار الفرنسيين تصدوا للحملة البريطانية ، ومنهم المسيو بوكار الذى أصدر كتابًا تحت عنوان ( حورس ) دفاعًا عن عراقة مصر وحضارتها ، وجعل شعاره ( جلاء – استقلال – حياد ) .

حدث ذلك عام ١٨٩٤ ، وهو من الأعوام الخطيرة فى حياة مصر ، فقد وقع خلاله حادثان خطيران ، أولهما حادث الحدود الشهير ، عندما كان عباس حلمى الخديوى يستعرض القوات المصرية فى الصعيد ، وحين وصل إلى وادى حلفا أبدى ملاحظة على حالة الجند ، وقال على ملأ فى الناس :

– إن هؤلاء الجنود فى حالة تدعو إلى الخجل .

وثار لورد كتشنر باشا سردار الجيش المصرى . وغضب لورد كرومر المعتمد البريطانى فى القاهرة ، وطلب من عباس أن يقدم اعتذارًا قبل عودته إلى العاصمة . وفى محطة الفيوم فى يوم ٢٦ يناير ١٨٩٤ كتب الخديوى برقية الاعتذار وأرسلها إلى كتشنر .

أما الحادث الثانى فكان قضية الاتجار فى الرقيق ، فقد ضبط على شريف باشا رئيس مجلس شورى القوانين ، ومحمد الشواربى باشا ، والدكتور عبدالحميد الشافعى وحسين واصف باشا ، عندما اشتروا عددًا من الرقيق ، وألقى القبض عليهم فيما عدا الشواربى الذى فر إلى قليوب . ثم ادعى شريف باشا أنه من رعاية إيطاليا وحضر القنصل الإيطالى وأفرج عنه . وعقدت محكمة عسكرية لمحاكمة المتهمين ، وأصدرت ضدهم احكامًا بالحبس لمدد متفاوتة ، ثم صدر عنهم عفو بعد ذلك . ولكن الحادثة سببت ثورة شديدة فى الرأى العام المصرى ، وكان لها صدى فى الرأى العام الأوربى .

فى هذا الجو المثير أصدر ( الدوق هاركور ) كتابه عن المصريين فتصدى له قاسم أمين ، وأصدر كتابا تحت عنوان ( المصريون ) . وكان ذلك فى عام ١٨٩٤ .

وهذا الكتاب لم يلتفت إليه الدارسون لقاسم أمين ، رغم أهميته الكبرى فى بيان وجهات نظر هذا المفكر المصرى الذى رأى من واجبه أن يبين حقيقة شعبه فى جرأة نادرة ، فقط أصدر كتابه باللغة الفرنسية ، وكتب على غلافه أنه من تأليف قاسم أمين المستشار بمحكمة استئناف القاهرة ، وبذلك تحمل وحده مسئولية كل حرف فى كتابه .

وحين نستعرض هذا الكتاب النادر الذى صور المصريين على حقيقتهم فى تلك الفترة ،

سنجد أنفسنا مضطرين إلى الوقوف عند قضايا أساسية تعرض لها قاسم أمين ، وسنترك بعض القضايا التى حلها الزمن ولم يعد لها وجود فى المجتمع المصرى اليوم .

وأحب أن أقول للقارئ إننى سأترك عامدًا الفصول التى كتبها قاسم أمين عن المصرى وعن المجتمع المصرى فقد تعمد ( الدوق هاركور ) أن يتحدث عن المسلمين والأقباط ورده قاسم أمين إلى صوابه ، وكانت هذه إحدى ألاعيب الاستعمار البريطانى فى مصر عندما أراد تفريق عنصرى الأمة حتى يفتت وحدتها .

وسنترك أيضًا الفصل الذى كتبه المؤلف عن ( الرق ) رغم طرافته فقد انتهت هذه القضية من مجتمعنا ، وقد أثيرت فى ذلك الوقت بصورة تلفت النظر .

ولا بد لنا من اجتياز الفصول التى كتبها قاسم أمين عن المرأة وعن الطلاق وعن الحب وعن الدين لأن مجتمعنا اجتاز خلال تطوره كل العقد التى كانت متحكمةً فى تصرفات الناس تحت ضغط الجمود الفكرى المتزمت الذى لفت نظر الرجل الأوربى ورأى فى العلاقات الشخصية بين الرجل والمرأة ما يباين مظاهر الحضارة الأوربية ، فحاول أن يرد ذلك إلى الدين ، ولم يدرك أن الإسلام لم يحكم على المرأة بالاستعباد ، ولم يبح للرجل حرية الطلاق إلا بشروط هى أفضل على كل حال من القيود التى يلتزم بها الأوربى ثم يبيح لنفسه تعدد النساء بطرق غير مشروعة .

لقد رفع الحجاب عن المرأة المصرية . وأصبح الزواج فى بلادنا غير مقيد بالقيود الاجتماعية التى كانت سائدة فى العصر الذى كتب فيه ( الدوق هاركور ) وغيره من الأوربيين اعتراضاتهم على النظام الشرقى فى تعرف الفتى بالفتاة واقترانهما أو طلاقهما .

وهذه الفصول ليست جديدة فى فكرة قاسم أمين ، بل هى امتداد لأفكاره عن تحرير المرأة مما يعرفه جمهرة الناس .

ولذلك فإننى أوثر الحديث عن الجديد فى فكر قاسم أمين من ناحية بناء المجتمع المصرى وتركيبه .

وأول لمحة تلفت النظر هى حديث قاسم أمين عن الروح العسكرية عند المصريين ، فقد اتهمهم ( الدوق هاركور ) بأنهم لم يمارسوا الحرب أجيالاً طويلةً ، وأنهم فقدوا الخصائص العسكرية .

وتصدى له قاسم أمين فتحدث عن حملة بونابرت وهزيمة جيش المماليك أمام جيشه ،

وتساءل : من الذى وقف ضد الغزو الفرنسى ؟ وقال فى ألفاظ شاعرية ، إن حب الوطن دفع المصريين دفعًا إلى محاربة جيش بونابرت حتى أرغم على الخروج من مصر .

ثم تحدث عن جيش الفلاحين فى عصر محمد على ، وكيف استولى على غزة ويافا وعكا ودمشق ووصل إلى قونية ، حتى وقعت موقعة ( نزيب ) التى تعتبر صفحةً ناصعةً من صفحات الجيش المصرى الذى هزم الجيش التركى . وأصبحت قوات مصر على أبواب قسطنطينية .

ووقف قاسم أمين عند كلمة قالها ( الدوق هاركور ) عن جيش عرابى حين وصفه بأنه لم يكن جادا فى الحرب مما سهل انتصار الجيش البريطانى عليه فى موقعة التل الكبير .

ورد قاسم أمين على الدوق قائلا إن العالم كله يعلم – فيما عدا الدوق هاركور – أن أسباب هزيمة الجيش العرابى كانت بسبب انقسام رؤساء الجند إلى طائفتين إحداهما تمنح الولاء لعرابى والأخرى تمنح الولاء للخديوى توفيق . ثم صدر بعد ذلك إعلان من السلطان العثمانى باعتبار عرابى مَن العصاة .

ثم قال قاسم أمين :

« فلنترك عرابى وجنوده ، ولنجب على سؤال أهم وأعلى قيمة .

هل كان الجنود الذين حاربوا فى عصر محمد على تنقصهم الكفاءة العسكرية ، والتعليم الحربى ، والشجاعة والبسالة ؟

وهل كان الجنود الذين حاربوا عام ١٨٧٧ تحت علم الخلافة العثمانية فى قلب روسيا تنقصهم الشجاعة والبسالة أم كانوا أكثر شجاعة من الترك أنفسهم ؟ » .

والتقط قاسم أمين من تصريحات قواد الإنجليز فى حرب استرداد السودان ما يثبت نظريته فى العسكرية المصرية ، ومن هذه التصريحات :

١ – صرح الجنرال جراهام فى ٣ مارس ١٨٨٥ أن معركة طوكر أكدت شجاعة وبسالة المصريين ، وأشاد بشجاعة البكباشى مختار .

٢ – أشاد الجنرال « ولسلى » فى ١٧ مارس ١٨٨٥ بشجاعة الفرسان المصريين ونشر بيانه فى الجريدة العسكرية .

وقد جمع قاسم أمين عددًا من هذه التصريحات ونشر نصوصها تأكيدًا لقدرة الجندى المصرى ، التى اعترف بها كبار الضباط الإنجليز الذين كانوا يحتلون مصر .

وفى فصل عن الحكومة التى اتهمها الدوق بالفوضى ، تحدث قاسم أمين عن وطنه فى

شجاعة نادرة ، فذكر أسباب قيام الثورة العرابية التى كانت فى جوهرها مطلبا شعبيا من أجل تحقيق الحكم الديمقراطى . ويجب أن نذكر هنا أن حاكم مصر كان عباس حلمى بن توفيق الخديوى الذى تصدى له عرابى ، وصارعه من أجل حقوق الشعب .

ثم شرح المؤلف الأعمال الحضارية الضخمة التى قام بها المصريون خاصةً فى أعمال الرى . وذكر أن مصر كانت من أوائل دول العالم التى استخدمت السكك الحديدية والتلغراف والبريد الحديث . ثم تحدث عن المحاكم المصرية التى لاتقل عن محاكم أية دولة أوربية من ناحية احترام القانون ، وسيطرة العدالة .

وذكر قاسم أمين للدوق أحوال فرنسا ، وكيف كان الملك لويس الرابع عشر يفخر قائلا إنه هو الدولة ، وإن ماعاناه الفلاحون الفرنسيون فى حكمه كان أشد هولاً مما عاناه الفلاحون المصريون فى حكم إسماعيل ، ثم تبدل نظام الحكم فى فرنسا ولم يقل أحد إن حكومة فرنسا تسودها الفوضى على الإطلاق .

وفى فصل هام عن الإسلام والتعليم رد قاسم أمين على مزاعم الدوق هاركور الذى ادعى أن الإسلام هو سبب الجمود الفكرى لأن وسائله فى التعليم لاتتلاءم مع العصر الحديث . وكان الدوق يظن أن نظام التعليم الإسلامى هو نظام الكتاتيب والأزهر القديم .

وقد شرح قاسم أمين اهتمام الإسلام بالتعليم ، وذكر حديث الرسول ﷺ : اطلب العلم ولو فى الصين . ثم ذكر أسماء أعلام المسلمين فى الدين والعلم والفلسفة والتاريخ ، وسرد أيضًا أسماء كبار الشعراء . وقال فى النهاية إننا لم نبلغ فى هذا العصر ما بلغته أوربا من علم وحضارة ، ولكن يجب أن نذكر دائمًا أن بلادنا كانت منهج العلم والحضارة . وأنها تحاول استرداد قيمها العظيمة فى الفلسفة والعلوم والآداب .

وتعرض الدوق للأدب والعلم ، فقال إن الشكلين الهامين فى الأدب لاتعرفهما مصر وهما الرواية والمسرحية .

وكانت هذه حقيقة من حقائق عصر قاسم أمين . وقد اعترف هو بأننا نترجم الروايات والمسرحيات من الفرنسية ، وأن الأدب العربى فى مصر له أشكال تقليدية لاتوجد بينها الرواية أو المسرحية .

أما العلوم كالحساب والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وغيرها ، فقد ذكر الدوق أن المصريين لافضل لهم فيها وأنهم يأخذونها عن الأوربيين .

والأمر العجيب الذى يلفت النظر أن قاسم أمين تخيل أن الأزهر أصبح جامعة ، بل إنه ذكر اسم الأزهر على أنه جامعة فعلا . وبنى على ذلك آماله فى أن تقوم هذه الجامعة بمثل ما تقوم به جامعات أوربا ، وقال إن مدرسة دار العلوم تقوم بتعليم العلوم الحديثة ، وإن طلابها يؤخذون من نبهاء طلاب الأزهر لتربيتهم تربية علمية .

لقد كان قاسم أمين يتنبأ بأن الأزهر سيصبح جامعة ولعله ناقش صديقه محمد عبده فى تطوير الأزهر حتى يصبح مثل جامعة السوربون ولذلك أصر فى كتابه على إطلاق اسم الجامعة على الأزهر .

وأخيرا أحب أن أقول إن كتاب ( المصريين ) الذى ألفه قاسم أمين لم يكن فى الواقع ردا على الدوق هاركور بالذات ، بل كان تصويرا لأفكار قاسم أمين نفسه ولو أنه اتخذ الرد على هذا الدوق وسيلة للتأليف .

لقد وضح قاسم أمين قضايا هامة تظهر حقيقة المجتمع المصرى فى عصره ، وآماله فى المستقبل ، فهو الذى سبق إلى تصوير الفلاح المصرى مسلما أو قبطيا على أنه مصرى وطنى ، وكأنما كان متنبئا بما سيسلكه الاستعمار البريطانى من محاولة لتفريق عنصرى الأمة .

كما أن قاسم أمين وضع ثورة عرابى فى مكانها الصحيح من تاريخ مصر ، وأكد فى جرأة أنها ثورة شعبية ضد الظلم والطغيان .

وكان قاسم أمين كمصلح سياسى واجتماعى يحلل مجتمعه تحليلاً علميا ويبين نواحى النقص فيه ، ثم يتبع ذلك بوسائل الإصلاح التى تحدث التقدم والنهضة ، وكان أهم ما يشغله فى ذلك أمرين هما : العلم والثقافة .. ثم تحرير المرأة .

ولذلك فإننى أعتقد أن هذا الكتاب الذى لم يلتفت إليه أحد أشد خطرا مما كتبه قاسم أمين عن المرأة الجديدة ، لأنه يدعو إلى تحرير المجتمع المصرى كله لا إلى تحرير نصفه فقط ممثلاً فى المرأة .

ومن أطرف ما قاله قاسم أمين عن ( الدوق هاركور ) الذى طعن فى مصر لأسباب سياسية ، إن الدوق رأى مصر وهو يركب عربة حنطور يتجول بها فى شوارع القاهرة .. وإن قاسم أمين لو فعل مثل ذلك فى باريس لخرج بكتاب يشبه كتاب الدوق المتفرج .

# قلينى فهمى باشا

## شخصية مصرية نادرة

كنت أسمع اسم ( قلينى فهمى باشا ) فى حلوان ، وكأنه أسطورة ، فقد كان بعض أصدقائنا من الأقباط يتحدثون عنه فى الأربعينات أحاديث شتى تدل على أن الرجل كانت له قيمة عظيمة ، ولم أكن أعرف عنه شيئا مع أننى سكنت بيتا مجاورا لقصره فى حلوان على مقربة من الحديقة اليابانية ، وكنت أشاهد شابا وفتاة أصابهما مرض نفسى ، وقيل إنهما أخ وأخت تبناهما قلينى فهمى وسمح لهما بالإقامة فى قصره . وكان ينفق عليهما ، حيث لا ولد له .

وكان الباشا يمضى الشتاء فى حلوان ولكنه لا يقيم فى قصره ، بل يسكن فى غرفة بفندق ( جراند أوتيل ) الذى كان من الفنادق الفاخرة ، ثم خربته القوات البريطانية فى الحرب العالمية الثانية عندما اتخذته مقرا لقيادتها .

وعندما كان قلينى فهمى يشتى فى حلوان كانت الأحاديث تكثر حوله ، وينسج لنا أصحابنا من القبط خيوطا قصصية بعضها واقعى وبعضها خيالى ، وكانوا يزورونه كثيرًا فى الفندق ثم يعودون إلى المقهى الذى اعتدنا الجلوس فيه ليتحدثوا عن كرم الباشا الذى قدم لهم كذا وكذا وهم من صغار الموظفين الذين لا تسمح جيوبهم بالإنفاق فى هذا البذخ الذى يروى عن قلينى فهمى .

كنت فى شوق إلى رؤية هذا الرجل الذى عاصر عصر إسماعيل الخديوى وكان موظفًا فى دائرته السنيةالتى تشرف على مزارعه وأملاكه ، وطالت حياته حتى عهد الملك فؤاد وأوائل عهد فاروق .

وذات يوم قلت لصديق برسوم أفندى الذى كان يعمل فى مرصد حلوان ، ويرقب البالونات التى يطلقها المرصد فى الجو ، وقد أعجب به الملك فاروق عندما رآه وسماه : صقر حلوان .

قلت لبرسوم أفندى إن قلينى أفندى باشا من الشخصيات المثيرة ، وقد قرأت مذكراته فأعجبتنى ، كما أعجبنى الرجل بسبب مصريته الصادقة ، ونقل الأفندى كلامى للباشا فى

معرض المباهاة والتفاخر ، فطلب منه دعوتى لزيارة فى جراند أوتيل ، وذهبت معه ، فرأيت رجلاً من الأجيال الماضية يرتدى بدلة ردنجوت سوداء وحذاءً لامعًا وطربوشًا مائلاً . . وكان رجلاً أنيقًا شديد الأناقة . . عليه مسحة أرستقراطية . هذا هو قلينى فهمى باشا .

جلسنا فى الصالون ، وكان رقيقًا فى تحيته واعيًا لكل كلمة يقولها مع أنه فيما يبدو كان قد بلغ التسعين من عمره أو أكثر لأننا لا نعرف تاريخ ميلاده ، ولكننا نعرف أنه كان تلميذًا فى مدرسة الأقباط الكبرى سنة ١٨٧٠ عندما تخرج فيها وحصل على شهادة البكالوريا وكان ترتيبه الثانى ، وقدم له الأمير حسين كامل بن الخديوى إسماعيل والذى أصبح سلطان مصر بعد ذلك . . قدم له هديةً ثمينةً هى بعض الكتب العربية والفرنساوية مازال يحتفظ بها كما قال لنا .

اجتمع حول قلينى فهمى عدد كبير من ضيوفه وقد أباح لهم أن يطلبوا من الجرسون كل ما يريدون على حسابه حتى أصبحت غرفة الصالون مطعمًا ومشربًا ، وهو مسرور بهذه التحية ، سعيد لأنه يُسعد أصدقاءه .

تولى قلينى فهمى الوظائف الرفيعة فى الحكومة وكان عضوًا فى مجلس شورى النواب وعضوًا فى الجمعية التشريعية ومجلس الشيوخ . . ولكن هذا الجانب من حياته لا يساوى شيئًا إلى جانب شخصيته .

كما كان من كبار رجال الاقتصاد ، واقتنى ثروةً طائلةً ، وكان له قصر فى بلدته مغاغة ، وقصر فى حلوان . . وهذا أيضًا ليس هو ما نريد الحديث عنه ، فقد ظهر فى عصره من هم أكثر ثراءً منه ، وكانت لهم قصور وعزب وأطيان ، ونحن لا نتذكر أسماءهم لأن الزمن أنسانا أسماءهم وأطيانهم .

لقد أصبح قلينى فهمى الكاتب بالدائرة السنية فى عهد إسماعيل والذى كان يحسب حساب المزروعات والإيجارات ، ويشرف على رى الأراضى وتخزين المحصولات شخصيةً مرموقةً فى مصر ، وأصبحنا نحاول التعرف عليه بسبب الدور الذى قام به فى خدمة المجتمع المصرى .

تعرف قلينى فهمى بالطبقة العليا فى المجتمع ابتداءً من الخديوى إسماعيل إلى الأمراء والباشوات ، وعاصر الثورة العرابية وكان صديقا شخصيا لسلطان باشا أكبر عملاء الاستعمار البريطانى بعد الاحتلال ، ولقب بلقب ( قائمقام الخديوى توفيق ) . . ولكن الذى يلفت النظر أن قلينى فهمى باشا لم تكن له صلة بالخديوى توفيق بل إنه كان متهمًا بمالأة الخديوى إسماعيل

المعزول وعندما زاره فى منفاه بإيطاليا وجرت بينهما مقابلة فى ( فيلا روز ) التى كان يقيم فيها إسماعيل . ثم عاد قلينى فهمى إلى مصر حققت معه سلطات القصر حول هذه الزيارة ، واستجوبوه وسألوه عما قال وما سمع .

وبرغم صداقته لسلطان باشا وهو بلدياته وكلاهما من المنيا ، فإنه اعترض عليه بعد سقوط الثورة العرابية ، وقد روى أنه كان مع غيره يتناولون الغذاء على مائدة سلطان باشا فى إبان سطوته واستبداده ، وجاءه رجل من المنافقين يقول :

– هناك ١٧ عمدة من عمد المنيا كانوا مع عرابى .

فقال سلطان باشا :

– يقبض عليهم حالاً ويوضعون فى السجن .

فصاح قلينى فهمى وهو على المائدة :

– ياسلطان باشا . . أنت ستقبض على أهل مصر كلهم لأنهم كانوا مع عرابى .

وسقطت اللقمة من فم سلطان باشا عندما سمع هذا الكلام ، وقال :

– طيب ياقلينى يافهمى . . طيب .

وأمر سلطان باشا الرجل الذى حمل له هذا النبأ بالانصراف .

لم يكن قلينى فهمى مشاركًا فى الثورة العرابية ، ولم يكن له أى دور فيها ، بل إنه رفض أوامر مدير المنيا عندما أبلغه أن الجيش يطلب خلع قضبان السكك الحديدية ليصنع منها مدافع وأن يقطع الأشجار وترسل إلى كفر الدوار لتوقد أخشابها ويطهى عليها طعام العساكر . . وأوشك أن يوضع فى السجن لمخالفته هذه الأوامر .

ولكن هذا الرجل دافع عن المصريين فى وجه المظالم ، ومما عرف عنه قبل الثورة العرابية أنه طالب بإلغاء عقوبة الكرباج التى كانت تستخدم فى جمع الضرائب من الفلاحين . وطالب بإلغاء السخرة التى كانت تستخدم فى تنفيذ المشروعات ونجح فى ذلك ، ولكن التاريخ المصرى الحديث لا يذكر له شيئًا من ذلك ، مع أنه هو الذى كتب المذكرات الرسمية التى عرضت على رئيس الوزراء مصطفى رياض باشا ، وبين فيها الأسباب الموجبة لذلك وهى أسباب اقتصادية وليست عاطفية ولا إنسانية مما يدل على ذكاء قلينى فهمى وبراعته الفائقة فى تقدير الأمور بالعقل والحكمة .

لقد ذكر لأصحاب عقوبة الكرباج فى جمع الضرائب أن الكرباج لن يجمع لهم قرشًا

واحدًا ، وكان قلينى فهمى يشغل وظيفة مدير مصلحة الأموال المقررة ، وطالبهم بزيارة بعض القرى المصرية ليروا أحوالها ؛ لأنها لم تكن تملك شيئًا . وشكلت لجنة لدراسة الأحوال الاقتصادية فى القرى وزارت ثلاثًا منها ثم عادت وأقرت وجهة نظر قلينى فهمى بعد أن شاهدت أكواخ الطين بداخلها بعض الآدميين .

وأعد قلينى فهمى نفقات المشروعات التى تنفذ باستخدام السخرة ، والمشروعات التى يدفع فيها أجر الكادحين ، وأكدت دراسته أن مشروعات السخرة نفقاتها أكثر وأنها تكبد الخزانة خسائر فادحة بسبب السخرة ، حيث كان الجلادون يتقاضون الرشاوى والسرقات أضعاف ما يدفع من أجور .

هكذا كان يفكر قلينى فهمى فى مصر وأبناء مصر .

عقلية عملية ناضجة ، وقدرة ذهنية فائقة مع لين الجانب ، والبشاشة والكياسة .

حدث أن محمد رياض باشا مدير أسيوط أصدر أمرًا بفصل موظف صغير ، وكان أبوه مصطفى رياض باشا رئيس الوزراء ، وعرضت الأوراق على قلينى فهمى لأن الموظف كان تابعا لرياسته ، ورأى الظلم والجبروت فى هذا القرار ، فذهب إلى رئيس الوزراء وأبلغه أن ابنه يظلم الناس ، واستمع إليه رياض باشا رئيس الوزراء وأعد خطابا ليرسله إلى ابنه يوبخه ويحذره ، ولكن قلينى فهمى باشا رجاه ألا يرسل الخطاب حتى لا يغضب الباشا مدير أسيوط وهو ولده ، فقال له رئيس الوزراء إن ابنه إذا لم يرجع عن الظلم سيفصله . وأعيد الموظف إلى عمله .

لقد كان قلينى فهمى مصريا له اتجاهات واضحة فى محاولة تجديد الحياة وبعث النهضة ولذلك شارك فى أعمال كثيرة لا يمكن حصرها وكانت فى جملتها مشروعات اقتصادية . . ولكن بعض هذه المشروعات كانت اجتماعية أيضا .

كانت أهم ملامح شخصية قلينى فهمى إيمانه الراسخ بوحدة الشعب المصرى من مسلمين وأقباط ، وهو أول عظماء الأقباط الذين تحدثوا عن هذه الوحدة ، بل إنه كان له دور بارز فى هذه الوحدة الوطنية فى حياتنا المعاصرة .

يكفى أن تعلم أن قلينى فهمى عندما أنشأ كنيسةً فى بلدته مغاغة ، أقام مسجدا فى هذه البلدة ، وهى لفتة كريمة من هذا القبطى العظيم وقد تابعه فى ذلك بعض أعيان المسلمين فى مدن مصرية كثيرة فكانوا يقيمون الكنائس والمساجد تعبيرًا عن هذه الوحدة الخالدة .

قال لنا قلينى فهمى باشا عندما حدثته عن هذا الموضوع فى فندق جراند أوتيل بحلوان :

– نحن نتبادل الهدايا . . مسجد وكنيسة كلاهما هدية من الرب . . ويقول الكتاب المقدس . . الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركًا .

وعندما حدثت فتنة طائفية فى مصر عام ١٩١٢ كان قد أثارها الاستعمار البريطانى بين المسلمين والأقباط تدخل قلينى فهمى لوقف الفتنة ، بل إنه سافر إلى لندن لدى الحكومة البريطانية حتى تكف يدها عن الطوائف الدينية فى مصر حتى لا يحترق كل شىء ، ونجح فى مسعاه ، وشكره المسلمون والأقباط على السواء .

وفى لحظة من لحظات الصفاء النفسى قرر قلينى فهمى وقف قصره فى حلوان ليكون مستشفى للسيدات من جميع الأديان ورصد للمستشفى ٦٠ فدانًا ، وقال وهو يحدثنا :

– فى حلوان مسلمون وأقباط . . وهناك طوائف أخرى لا أعرفها . . ولو كنت أعرف الحقائق لسمّيت هذا المستشفى النسائى باسم المستشفى الإسلامى القبطى ، ولكننى خفت أن تكون هناك طوائف أخرى لا أحبّ أن تحرم من العلاج . . هذا حرام .

وقد أنشأ فى مغاغة مجموعةً من المدارس ليتعلم فيها المسلمون والأقباط معًا ، ووقف عليها أطيانًا واسعة .

خلال حديثه الشيق كان يقول :

– مصر تعطى المسلم وتعطى القبطى ، وكلاهما يعطى مصر .

. . هذا هو القاسم المشترك الأعظم .

ثم ضحك الباشا ، واستمر فى حديثه يقول :

– عندما ذهبت لمقابلة الخديوى إسماعيل فى منفاه فى روما ، كنت أرتدى القبعة ، ورأيت من العيب أن أذهب إليه وعلى رأسى قبعة فبحثت عن طربوش فى روما . . من أين أشترى طربوشا فى روما ؟

وقال له خبيث من الحاضرين :

– هل صنع لك أحد الفنانين الطليان طربوشًا ياسعادة الباشا ؟

فابتسم ، وقال :

–حصلت على طربوش من أحد المصريين الذين عرفتهم هناك على سبيل الاستعارة لمدة ساعة ، وكان يصطاف فى إيطاليا ولا يخلع طربوشه بسبب الصلع .

المهم فى هذه الحكاية هو أن قلينى فهمى رأى أنه كمصرى يقابل خديوى مصر السابق لابد . أن يكون على رأسه طربوش وليس قبعة حتى تتأكد شخصيته المصرية .

وكان قلينى فهمى معجبًا بالخديوى إسماعيل بسبب موقف من المواقف للخديوى كان يكثر ترديده . وقد كتب عن ذلك فى مذكراته :

كانت الأمة من أقباط ومسلمين متضامنة تضامنًا قوميًّا متينًا ، وللدلالة على مبلغ احترام ذلك الرجل العظيم ( يقصد إسماعيل الخديوى ) للعقائد الدينية نضرب مثلاً جديرًا بالاحترام .

ذلك أنه عندما أريد تنظيم شوارع مصر ، وفتح شارع كلوت بك ، أهم شوارع القاهرة فى ذلك الوقت ، كان يقتضى النظام لجعل هذا الشارع قويمًا أن يمرّ بكنيسة الأقباط الكبرى الكائنة بدار البطريركية ، فعرض على الأنبا ديمتريوس البطريرك أن تبنى له كنيسة أفخر من هذه الكنيسة ، وكذا دار للبطريركية أفخر من دارها الحالية ، كل ذلك على نفقات الحكومة فى نظير مرور الشارع معتدلاً ، فأجاب البطريرك قائلاً :

– إنى أتشاءم من هدم معبد دينى ليكون طريقًا ، كما أننى لا أرضى لجناب الخديوى أن يوافق على هذا العمل .

ولما عرض الأمر على الخديو قال :

– فلتكن إرادة البطريرك ، وليبق المعبد قائمًا كما هو فلا بأس من التواء الشارع فى هذه الناحية .

وقد ظل قلينى فهمى يتحدث عن هذا الموضوع طويلاً ، ويقول إنه لم يحدث فى الدنيا أن خضعت تخطيطات المدن لمثل هذه الأقوال إلا إذا كانت الكنيسة من الآثار مثل كنيسة ( نوتردام ) فى باريس ، ولكن كنيسة الأقباط الكبرى كانت مهدمةً وتستحق الإزالة لبناء كنيسة جديدة أعظم منها .

وقال لنا الباشا :

– لو كان الأمر بيدى لهدمت هذه الكنيسة وبنيت كنيسة أخرى عظيمة . . ولكن الخديوى إسماعيل لم يشأ أن يغضب البطريرك ديمتريوس وهذا غاية اللطف من سموه . . إن الكنيسة كانت قديمة وتستحق الهدم .

وقلنا لقلينى فهمى باشا :

– لماذا ابتعدت عن الخديوى توفيق ؟

فأشار بيده ، وقال لنا فى نبرات حزينة :

– الخديوى توفيق له سراى هنا فى حلوان منذ كان أميرا ووليا للعهد . . وهى الآن مدرسة حلوان الثانوية . . وأنا أيضًا أوصيت أن يكون قصرى فى مغاغة مدرسةً ثانوية .

وظل قلينى باشا يروى ذكرياته كلما أثار أحد ضيوفه قضية من القضايا التى تعيشها مصر . . وفجأة صاح قائلاً :

– اسمع يابرسوم أفندى . . وأنت ياعازر أفندى . . أنا كان لى موقف عندما أراد السلطان حسين كامل الذى ولاه الإنجليز ملك مصر زيارة مدرسة الأقباط الكبرى ، وهى داخل مبانى دار البطريركية والكنيسة المرقسية ، فقد قرر أن يكون فى استقباله يوسف باشا وهبه وحده ولا يستقبله أحد سواه من الأقباط . . فاعترضت على ذلك .

وقال عازر أفندى :

– لماذا اعترضت ياباشا ؟

فقال قلينى فهمى :

– يا أبنائى . . كان يوسف وهبه باشا معروفًا بميوله للإنجليز . . وكان السلطان قد ولاه الإنجليز . . وأنا قلت لهم : كيف يستقبل الإنجليز أنفسهم فى بطركخانة الأقباط ؟ الإنجليز يستقبلون الإنجليز فى البطركخانة .

وحدثت أزمة بين قلينى فهمى وبين قصر عابدين ، وتدخل فيها كثيرون منهم الأمير أحمد فؤاد الذى أصبح ملك مصر ، وحسين باشا رشدى رئيس الوزراء وغيرهما من رجال القصر ، وكانت وجهة نظر قلينى فهمى أن زيارة السلطان لمدرسة الأقباط وهى داخل دار البطريركية يجب أن تكون رسمية ، وأن يشترك فى استقباله أعيان الأقباط حتى لا يقال إن يوسف وهبة باشا المالئ لدار المندوب السامى هو الذى يمثل الأقباط . . واقتنع السلطان حسين كامل بوجهة نظره رغم عصبيته التى وصفها قلينى فهمى فى مذكراته فقال :

– كان عصبى المزاج ، حاد الطبع ، متقلب الأحوال ، ومع سرعة تأثره وشدة بطشه كان رحيم القلب قريبا إلى العفو .

وقال واحد من ضيوف الجلسة فى صالون فندق ( جراند أوتيل ) فى حلوان :

– ولكنك ياسعادة الباشا كنت مقربًا من الإنجليز . . ومن المندوبين الساميين فى مصر .

فضحك قدس الله روحه ، وقال :

– نعم . . ولكننى لم أكن مثل يوسف باشا وهبة الذى عينته دار المندوب السامى البريطانى فى مصر رئيسًا للوزارة ، واحتجت على هذا التعيين بطركخانة الأقباط نفسها لأنه كان قبطيا وقبل الوزارة فى ظل الحماية أثناء ثورة ١٩١٩ .

أنا كنت أدارى الإنجليز . . وقد عارضت كبراءهم فى مواقف كثيرة ولكن برقة ولطف . . أنا ليس من طبعى العنف .

إن حياة هذا المصرى . القبطى العظيم فيها مواقف عظيمة . . ولكن أبناء جيلنا والجيل الذى سبقه كانوا يعيشون مع الأقاويل والشائعات ، ولا يعرفون الحقائق ، وعندما راجعت أعمال قلينى فهمى ومواقفه أدركت أن التاريخ المصرى الحديث يعلوه غبار كثير . . وعلينا أن نرفع عنه الغبار .

obeikandl.com

# أمين الرافعى

## أول مصرى رفض الحماية البريطانية

أمين عبد اللطيف الرافعى هو شقيق المورخ الكبير عبد الرحمن الرافعى ، وكان أمين يكبر عبد الرحمن بسنتين ، وكان والدهما الشيخ عبد اللطيف الرافعى من علماء الأزهر ، وتولى مناصب القضاء الشرعى منذ سنة ١٨٧٧ فى أقاليم البحيرة والشرقية والغربية ، ثم عين عضوا فى محكمة مصر الشرعية سنة ١٨٩٧ ونقيبا للإسكندرية سنة ١٨٩٨ حتى أحيل إلى المعاش فعاد إلى القاهرة وتوفى بها بعد أن رأى ولديه : أمين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى يصعدان سلالم المجد .

وبيت الرافعى من البيوت المشهورة فى مصر والشام ، وهم أهل علم ، وكانوا يتولون مناصب القضاء ، ومنهم من اشتغل بالأدب والشعر ، ولشهرهم فى العصر الحديث مصطفى صادق الرافعى ، الذى كان والده أيضًا من القضاة ، وقد سكن فى طنطا وأقام بها .

ولكننا نتحدث عن أمين الرافعى ، أحد الرواد الأوائل فى مجال الصحافة الوطنية المصرية ، وقد كان نادرة عصره فى هذا المجال ، عندما كانت الصحافة مهنة له بعد الاحتلال البريطانى لمصر ، فقد أراد الاحتلال إسقاط قيمة الكلمة ، فأشاع الفوضى فى الصحافة المصرية حتى يضيع على الشعب المصرى كل القيم الرفيعة . . بل إن الاحتلال البريطانى أنشأ لنفسه صحافة فى مصر وكان على رأسها جريدة ( المقطم ) بلسان حال الاحتلال .

ولكن مصطفى كامل أدرك الخدعة الاستعمارية فأنشأ جريدة ( اللواء ) مصرية وطنية ، كما أنشأ حزب الأمة جريدة ( الجريدة ) التى رأس تحريرها أحمد لطفى السيد تعبيرًا عن رأى الأعيان المصريين أو الأرستقراطية المصرية إذا صح هذا التعبير .

ولكن . . أين كان الشعب المصرى أو الجماهير ؟

لعل أمين الرافعى كان هو وحده الذى يحمل آلام الجماهير ، فاحترف الصحافة لهذا الغرض ، ولتحقيق هذا الهدف ، حتى بعد وفاة الزعيم ( مصطفى كامل ) وعندما تولى ( محمد فريد ) زعامة الحزب الوطنى .

كان أمين الرافعى محررا فى صحيفة الحزب الوطنى ، وهى صحيفة ( العلم ) ثم رئيسًا لتحريرها تحت زعامة ( محمد فريد ) بعد ( مصطفى كامل ) ، وكان شقيقه ( عبد الرحمن الرافعى ) يشتغل بالمحاماة .

ويقول عبد الرحمن الرافعى . :

( وفى سبتمبر سنة ١٩١٠ انقطعت مؤقتًا عن مكتبتى ، وتوليت رياسة تحرير ( العلم ) فى غيبة شقيقى أمين الذى سافر إلى أوربا لحضور المؤتمر الوطنى الذى انعقد فى بروكسل فى ذلك العام ، وموافاة ( العلم ) برسائل المؤتمر . وكان الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس التحرير يقضى مدة السجن المحكوم بها عليه من محكمة جنايات مصر فى قضية ( وطنيتى ) . وكانت إدارة ( العلم ) بشارع محمد على بالمنزل رقم ١١٦ ) .

وكانت قضية ديوان ( وطنيتى ) للشيخ على الغاياتى من القضايا المشهورة فى مصر خلال تلك الفترة .

وقد حكم فيها بالسجن على الزعيم محمد فريد وعلى الشيخ الغاياتى فى محاولة لإسكات صوت الوطنية .

ولكن ( أمين الرافعى ) استمر فى إصدار جريدة ( العلم ) التى انتقلت دارها إلى شارع الصنافيرى بحى عابدين ( شارع على باشا ذو الفقار ) وكانت هذه الدار مقرا للحزب الوطنى بعد وفاة مصطفى كامل ، وعقد فيها مؤتمر الحزب حيث انتخب محمد فريد خليفة للزعيم مصطفى كامل سنة ١٩١١ .

ثم أصدر أمين الرافعى جريدة الشعب ، وكانت تعتنق مبادئ الحزب الوطنى أيضًا ، وقامت الحرب العالمية الأولى فى يوليو – أغسطس سنة ١٩١٤ ، وأعلنت السلطة العسكرية البريطانية الأحكام العرفية على مصر فى ٢ نوفمبر ، ثم خلع الخديوى عباس حلمى من العرض ، وعينت بريطانيا عمه الأمير حسين كامل سلطانا فى يوم ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .

وكانت الحكومة البريطانية قد أعلنت الحماية على مصر فى اليوم السابق لتعيين السلطان حسين كامل أى فى يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .

ونشر إعلان الحماية البريطانية فى الوقائع المصرية ، وجاء فيه :

( يعلن وزير الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى ، أنه بالنظر إلى حالة الحرب التى سببها عمل تركيا قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته وأصبحت من الآن فصاعدًا من

البلاد المشمولة بالحماية البريطانية . وبذلك قد زالت سيادة تركيا على مصر . وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها ) .

وكان قرار الحماية البريطانية على مصر متوقعا عند الرأى العام ، وكان محتما على الصحف أن تنشره عند صدوره ؛ ولذلك أعلن أمين الرافعى رئيس تحرير جريدة ( الشعب ) فى عدد ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ أنه سيحتجب من ذلك اليوم ، وأنه سيعود بمشيئة الله إلى الظهور . وكان الغرض الذى قصد إليه أمين الرافعى هو عدم نشر إعلان الحماية والبلاغات التى تستتبعه فى جريدته على سبيل التحدى الصامت للاحتلال البريطانى .

كان احتجاب جريدة الشعب أوّل احتجاج مصرى على الحماية البريطانية ، وقد جاء فى وقت كانت فيه هذه الجريدة أوسع الجرائد المصرية انتشارًا ، كما كانت أكثرها نجاحًا من الناحية الصحفية حيث استطاعت نقل أخبار الحرب العالمية إلى القارئ المصرى فى سرعة لفتت الأنظار ، وكانت إلى جانب هذا جريدة وطنية تناطح جرائد الغرباء أو جرائد أعوان الاستعمار .

وبعد أن أغلق أمين الرافعى جريدته بدأت مطاردة السلطة له ولزملائه أعضاء الحزب الوطنى .

يقول عبد الرحمن الرافعى :

« تولت السلطة العسكرية حكم البلاد خلال الحرب ، فكان أول عمل لها اضطهاد الحزب الوطنى ومطاردة رجاله ، فضبطت أوراقه ودفاتره وسجلاته . . وشتتت شمل أعضائه أو الذين اشتبهت فى أنهم من أعضائه أو أنصاره . ، واعتقلت الكثيرين منهم . ووزعتهم على سجن الاستئناف بالقاهرة ، وسجن الحدرة بالإسكندرية ، والمعتقلات التى أنشأتها لهم خصيصًا فى درب الجاميز وطرة والجيزة وسيدى بشر ، ونفت بعضهم إلى مالطة وأوربا ، وكنت ممن أصابهم الاعتقال ، وأذكر من أسماء المعتقلين وقتئذ :

أحمد لطفى بك – على فهمى كامل بك – عبد الله بك طلعت – عبد اللطيف بك الصوفانى وقد وضع تحت المراقبة فى دمنهور – عبد اللطيف بك المكباتى .

الأساتذة : عبد المقصود متولى – محمد زكى على أحمد توفيق – أمين الرافعى – عبد الرحمن الرافعى – مصطفى الشوربجى – إسماعيل حافظ صهر محمد بك فريد – محمد

فؤاد حمدى – إبراهيم رياض – الدكتور عبد الحليم متولى – الدكتور عبد الفتاح يوسف – الدكتور شفيق منصور – أحمد أفندى رمضان – اليوزباشى – حافظ محمود قبودان – اليوزباشى أحمد حمودة – محمد أفندى الشافعى – مصطفى أفندى حمدى – يعقوب أفندى صبرى – اليوزباشى أحمد نبيه قبودان – إسماعيل أفندى حسين – الشيخ إبراهيم مرونى . . وغيرهم .

أما الذين نفوا إلى مالطة فمنهم :

الدكتور عبد الغفار متولى – الدكتور محمد عوض محمد – الأستاذ محمود إبراهيم الدسوقى – حامد بك العلايلى – الأمير أفندى العطار . . وغيرهم .

وقد نقلت لك بعض هذه الأسماء لتدرك معى أن الصفوة المثقفة المصرية من محامين وأطباء وضباط وكتاب وصحفيين هى التى كانت تقود حركة الثورة المصرية ، ولم تكن طبقة الأعيان هى التى تقودها ، ولكنها كانت تشترك فيها ، فإن غالبية الذين اعتقلتهم السلطة البريطانية بعد إعلان الحماية وقبل اشتعال ثورة ١٩١٩ ، كانوا من المثقفين كما ترى . . بل إن الاحتجاج الأول على الحماية كان من صحفى مثقف هو أمين بك الرافعى .

وقد لبث كثيرون من هؤلاء المعتقلين فى السجون والمعتقلات والمنفى سنوات طويلة ، حتى بعد إعلان الهدنة سنة ١٩١٨ ، ؛ لأن بريطانيا لم تعتقلهم بسبب الحرب ولكن بسبب وقوفهم فى وجه الاستعمار .

اعتقل أمين الرافعى يوم ١٧ أغسطس ١٩١٥ ، وحبس فى سجن الاستئناف بباب الخلق مع كثيرين من الوطنيين ، وكان هذا السجن مجاورا لمحافظة القاهرة فى مبناها القديم ، وهى مديرية أمن القاهرة الآن ، وإلى جواره محكمة الاستئناف ؛ ولذلك سمى ( سجن الاستئناف ) وقد أعد لاستقبال الذين توجه إليهم تهم تؤدى بهم إلى المحكمة .

ولكن أمين الرافعى ورفاقه لم توجه إليهم تهمة ؛ لأن الحركة الوطنية خلال تلك الفترة الحرجة من تاريخ مصر التزمت الصمت الذى كان يسبق العاصفة ، حتى أن الشعب المصرى تعاطف مع الخديوى عباس حلمى لا حبا فيه ، ولكن بغضا للاستعمار البريطانى ، وظهر ذلك فى الفولكلور الشعبى ، فذاع فى تلك الأيام الإنشاد الوطنى على ألسنة الأطفال ، وهم يقولون :

الله حى عباس جاى
يضرب بمبه
فى راس العمدة
الله حى عباس جاى

والمقصود بالعمدة هنا هو المعتمد البريطانى وانتشرت أيضًا مقطوعة شعبية أخرى تقول :

ياعزيز ياعزيز . .
كُبة تاخد الانجليز .

وعندما كانت السلطة البريطانية تجمع عشرات الألوف من الفلاحين لخدمة الجيش البريطانى فى ميادين القتال فى فلسطين ، انتشرت أيضًا الأغنية الفلكلورية الشهيرة .

ياعزيز عينى وانا بدى أروح بلدى
بلدى يابلدى والسلطة خدت ولدى
بلدى . . يابلدى .

خلال الصمت الرهيب الذى عبر عنه الشعب المصرى بأغانيه الجريحة ، كان أمين الرافعى ورفاقه فى زنزانات سجن الاستئناف بباب الخلق .

وفى ٣٠ أغسطس ١٩١٥ اتخذت السلطة قرارًا بالنسبة لهؤلاء المسجونين السياسيين خوفًا من إثارة الرأى العام الذى بدأ يعبر عن سخطه بهذه الكلمات الشعبية البسيطة التى رويتها لك .

يقول عبد الرحمن الرافعى :

( فى ١٠ أغسطس جاء الفرج ، لا بإطلاق سراحه ، بل بنفيه إلى معتقل أعدوه لنا بدرب الجاميز ، فى مبنى مخزن وزارة المعارف ؛ ذلك أن اعتقالنا فى سجن أعد للمحكوم عليهم والمنتظر أن يحكم عليهم فى الجرائم ، قد قوبل فى مختلف الطبقات وبالسخط والاستنكار ، وأبديت رغبة فى معاملتنا كمعتقلين سياسيين لهم على كل حال حق الرعاية والمعاملة الإنسانية . فأعدوا لنا المعتقل الجديد بدرب الجاميز ، وقد شعرنا فيه ببعض الراحة النفسية إذا قورن بسجن الاستئناف وسمح لنا فيه على الأقل بأن نجتمع معا فى أى وقت نشاء ، وأن نختار من الغرف الصغيرة والمتوسطة والكبيرة ما نشاء ، وأن يختار كل منا زملاءه ، فاخترت مع أخى أمين غرفة واحدة كان بابها مفتوحًا فى كل وقت ) .

ولكن أمين الرافعى لم يطل مقامه بمعتقل درب الجاميز ، فقد حدث حادث خطير فى مصر

هزّ أركان العرش ، عندما قرر السلطان حسين كامل زيارة مدرسة الحقوق وهى أعلى المدارس العليا شأنًا فى ذلك الزمان ، وفى يوم الزيارة المحدد تحرك موكب السلطان من قصر عابدين إلى المدرسة التى كانت فى مبنى الحرس الملكى بميدان عابدين فى مواجهة القصر ، وعندما وصل الموكب خرج كل الطلبة من المدرسة فى صمت ، وانصرفوا ، ووجد السلطان نفسه وسط غرف خالية .

كانت هذه اللطمة من طلبة الحقوق أقسى اللطمات على وجه السلطان الذى عينته بريطانيا العظمى بقرار منها سلطانا على مصر بعد يوم واحد من إعلان الحماية .

وبعد هذا اليوم بدأت السلطة تبحث عن معتقلات جديدة . ، فنقلت بعضهم إلى معتقل أنشأته فى سجن طره ، ووضعت طلبة مدرسة الحقوق فى معتقل درب الجماميز ، ونقل أمين الرافعى ومعه شقيقه عبد الرحمن الرافعى وبعض رفاقهما إلى معتقل طرة . . ثم نقلوا مرةً أخرى إلى معتقل فى أول شارع الهرم كان يعرف باسم ( السجن الأسود ) .

وأخيرًا حدثت المفاجأة الغريبة العجيبة التى تحتاج إلى شرح وتفسير .

فى يوم ١٧ يونيو ١٩١٦ أفرج عن أمين الرافعى بعد أن ظل فى المعتقل عشرة أشهر .

لم يكن إفراجًا عاديا يخرج فيه هذا الصحفى الكبير من المعتقل إلى بيته كما جرت العادة . . . وكان الله يحب المحسنين .

لا . .

لقد أخذوه من معتقل السجن الأسود فى شارع الهرم إلى الإسكندرية لمقابلة رئيس الوزراء حسين رشدى باشا ، وكان معه شقيقه عبد الرحمن الرافعى وصديق ثالث هو عبد الله بك طلعت .

وقابل حسين رشدى باشا هؤلاء الثلاثة ، وكان هذا الرجل من خيرة المصريين . وله قصر فى الإسكندرية فى محطة رشدى باشا التى ما زالت تحمل اسمه ، وكان له دور فى ثورة ١٩١٩ يذكر ويشكر ، ولكنه لم يكن من الثوريين أو الذين يفكرون بفكر أصحاب الثورات أو دعاتها .

المهم هو أن رشدى باشا وضح موقفه ، وقال إنه سعى لدى السلطة البريطانية للإفراج عن أمين بك الرافعى وشقيقه عبد الرحمن الرافعى وصديقه عبد الله طلعت ، ثم تحدث عن

ضرورات الحرب ، ولعله قال إن بريطانيا العظمى معذورة فى موقفها من مصر ، وسيتم الخير بإذن الله بعد إنهاء الحرب . ؛

حديث سياسة تكرر فى حياتنا الثورية النضالية فى الحرب العالمية الثانية . . كما كان تماما فى الحرب العالمية الأولى . . وكان مصطفى النحاس باشا مثل حسين رشدى باشا مع اختلاف الظروف والأحوال ، والاختلاف بين الشخصيتين .

وكان أمين الرافعى يدرك أن لعبة السياسة لا تصلح فى مقاومة الاستعمار . . وكان جيلنا الذى عاصر النضال الوطنى بعد ثورة ١٩١٩ . . ونحن أبناء شباب هذه الثورة – يدرك أيضًا أن لعبة السياسة لا تستطيع مقاومة الاستعمار .

هذه التجارب كلها هى التى أدت إلى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بكل قوتها واندفاعها . وهى الثورة التى خلعت عرش الطغاة ، واقتلعت جذور الاستعمار .

دعنى الآن من هذا الحديث حتى أحدثك عن الصحفى أمين الرافعى .

قال له حسين رشدى باشا ما قاله من كلمات عذبة رقيقة ، وشكر الباشا على حسن صنيعه ؛ لأن أمين الرافعى كان رجلا مهذبا ، وحين طلب منه الباشا مقابلة ( السير رونالد جراهام ) مستشار وزارة الداخلية ، وقال له ولرفاقه إنه هو أيضًا سعى للإفراج عنهم ، لم يتردد أمين بك فى زيارة عدوه فى مكتبه . ويقول عبد الرحمن الرافعى إنه قابلهم بشعور طيب .

ثم جاءت المفاجأة الكبرى التى قلت لك إنها تحتاج إلى شرح وتفسير .

حدد موعد المقابلة بين أمين الرافعى وبين السلطان حسين كامل سلطان مصر فى رأس التين بالإسكندرية ، وحتى لا تنكشف اللعبة الماكرة تمت المقابلة بين السلطان وبين :

* أمين بك الرافعى .
* عبد الله بك طلعت .
* الأستاذ عبد الرحمن الرافعى .

وكتب عبد الرحمن الرافعى عن هذه المقابلة يقول بالحرف الواحد :

( ثم ذهبنا إلى سراى رأس التين حيث قابلنا السلطان حسين كامل ، واستقبلنا بعطف وحفاوة وأخذ يدافع عن سياسته منذ إعلان الحرب العالمية وقبول عرش السلطنة ، وقال إنه قصد خدمة مصر والأسرة العلوية .

والتفت فى ختام الحديث إلى أخى أمين ، وقال له :

طلع الغازيتة ياأمين بك .

ووعده بالمساعدة المالية لإصدار الغازيتة ، وهى جريدة الشعب التى كانت محتجبةً احتجاجًا على إعلان الحماية البريطانية .

ولم يصدر أمين الرافعى جريدة الشعب ، وتحدى السلطان حسين كامل الذى أبدى له استعداده بالمساعدة المالية .

وكان تحدى السلطان أكبر وأعظم من تحدى بريطانيا العظمى ؛ لأن احتجاب الجريدة عمل سلبى صامت ، ولكن رفض إعادة إصدارها بعد طلب سلطان مصر ووارث عرش محمد على هو العمل الإيجابى الخطير .

أمين الرافعى الذى خرج من معتقل السجن الأسود فى شارع الهرم ليقابل سلطان مصر فى نفس اليوم رفض إعادة إصدار جريدته الشعب ، وهو يعلم أنهم يستطيعون إعادته إلى معتقل أسود من السجن الأسود .

هذا رجل .

وليس لى بعد هذه الكلمة أى كلمة أخرى .

# الدكتور على إبراهيم

## جراح . . هوايته السجاجيد القديمة

هذا الرجل يشبه الأسطورة .

ومازال القدماء من أهل حى عابدين فى القاهرة يرددون عنه الحكايات ، فقد كانت عيادته فى الجيل الماضى تقع فى شارع الصنافيرى خلف مبنى الحرس الملكى الذى أصبح اليوم مبنى محافظة القاهرة .

وكلما مررت أمام هذا البيت القديم العتيق الذى كان يعيش فيه الساحر صاحب الأصابع الذهبية ، أحس بأننى أقف أمام معبد لكاهن فرعونى صناعته الطب .

البيت صغير ، ولكن شكله غريب . . بين بابه وبين الشارع سور حديدى ، ونوافذه تطل عليك وكأنها فتحات هذا المعبد الفرعونى الذى تخيلته . . وأنت لا تدرى ماذا وراء هذه النوافذ ؟

وعندما سكن الدكتور على إبراهيم فى هذا البيت ، وجعل منه عيادته ومستشفاه ، كان أشهر طبيب جراح فى مصر هو الدكتور ملتون ، وهو طبيب إنجليزى كانت له مستشفى فى حى عابدين تحمل اسمه ، وكانت هذه المستشفى فى شارع عبد الدايم ، وقد اشتهرت وذاع اسمها عندما نقل إليها بطرس باشا غالى رئيس الوزراء فى عهد الخديوى عباس حلمى ، عندما أطلق عليه الرصاص وحاول الدكتور ملتون إنقاذ حياة الباشا فعجز عن ذلك ، ومات بطرس باشا فى مستشفى الدكتور ملتون .

فى تلك الأيام فقد الطبيب الإنجليزى شهرته لا بسبب عجزه عن إنقاذ حياة بطرس باشا غالى ، ولكن بسبب وجود الدكتور على إبراهيم فى حى عابدين .

كان الدكتور على إبراهيم يقاوم النفوذ الاستعمارى البريطانى بالطب ، وهذه هى إحدى عجائبه التى تروى للأجيال ، وهذا هو السبب فى نسج الأساطير حول عبقريته الفائقة ، ونحن لا ندرى ماذا كان يصنع . . ولكننا كنا نسمع ؟

قال الرواة إنه بعد عزل الخديوى عباس حلمى من عرش محمد على ، وتولية السلطان

حسين كامل بأمر ملكى بريطانى . . أصيب السلطان حسين بمرض عضال ، واستدعى لعلاجه كل الأطباء الأجانب فى القاهرة ومنهم الدكتور ملتون الشهير ، فعجزوا عن علاجه ، وزادت الأزمة ، وقال له واحد من حاشيته إن طبيبا مصريا اسمه الدكتور على إبراهيم له عيادة فى شارع الصنافيرى ، ولا بأس من دعوته ، لعل الله يجعل الشفاء على يديه ، وفى غمرة الآلام الفظيعة وافق السلطان حسين كامل المستبد المتعجرف الذى كان لا يترك السوط من يده على دعوة الدكتور على إبراهيم . . الطبيب المصرى المسكين . . الذى لا يستطيع مطاولة الأطباء الأجانب .

ثم أجرى عبقرى الطب والجراحة عملية للسلطان وشفى السلطان ، وزالت الأزمة وقال السلطان للدكتور على إبراهيم .

– كم تريد أجرا على العملية التى أجريتها لى ؟

فقال الدكتور !

– ألف جنيه ذهبًا .

وأنت اليوم لا تتخيل معنى الألف جنيه الذهبية فى سنة ١٩١٤ أو ١٩١٥ .

عملية جراحية لطبيب مصرى ناشئ بألف جنيه من الذهب .

هذه إحدى أساطير الدكتور على باشا إبراهيم الذى تحدى كل الأطباء الأجانب فى القاهرة . . . ولم تكن المشكلة أن يحصل الدكتور على المال ، ولكنها كانت مشكلة أخرى ، فقد ظل الناس يتحدثون عن هذا الطبيب الذى يأخذ ألف جنيه ذهبية فى العملية الجراحية .

كل الأطباء الأجانب عجزوا عن علاج سلطان مصر ، وعالجه الطبيب المصرى الدكتور على إبراهيم . . وأخذ ألف جنيه . . كلها من الذهب .

ثم سقطت الهالة الكاذبة عن الأطباء الأجانب ، وظهرت أسطورة الطبيب المصرى العبقرى الدكتور على إبراهيم ، وانصرف الناس عن مستشفى ( ملتون ) الإنجليزى ، واتجهوا إلى عيادة ( على إبراهيم ) المصرى . . فى شارع الصنافيرى .

وبدأ الشعب ينسج الأساطير . .

قال لى رجل من عامة الناس فى حينا ، وهو حى عابدين ، إن أحد الفقراء كانت له ابنة مريضة حار فيها الأطباء ، فنصحه بعض أصدقائه أن يذهب بها إلى عيادة الدكتور على إبراهيم فى شارع الصنافيرى ليجرى لها عملية جراحية .

ولكن . . كيف ؟

هذا الطبيب أخذ ألف جنيه ذهبية من السلطان .

هل يعالج هذه البنت الفقيرة ؟ . . هل يجرى لها عمليةً جراحية تشفى بعدها كما شفى السلطان !

ولكن الرجل استخار الله ، وجمع خمسة جنيهات وضعها فى مظروف ، وذهب إلى العيادة ، وأجرى الدكتور على إبراهيم الكشف الطبى على البنت ، وقال لأبيها ؟

– احضرها لى غدًا فى الساعة السابعة صباحا لأجرى لها عملية تشفى بعدها بإذن الله .

وقدم الرجل المظروف وبه الجنيهات الخمسة إلى الدكتور ، فأخذه منه ، وأكد عليه بإحضار البنت فى الساعة السابعة صباحًا لإجراء العملية .

وتمت العملية ، وبقيت البنت فى المستشفى حتى شفيت ، وعندما صرح لها الدكتور على إبراهيم بالخروج ، أعاد المظروف إلى والدها ، وكان فيه خمسون جنيها فوق الخمسة ، وقال للأب !

– ابنتك فى حاجة إلى رعاية وغذاء فلا تبخل عليها .

وظل الرجل يحكى هذه الحكاية فى الشوارع والحارات ، وظل الناس يرددونها حتى سمعتها منهم .

وهناك حكايات أخرى كثيرة يرويها الرواة عن هذا العبقرى المصرى الذى طبقت شهرته الآفاق ، ورويت عنه الأعاجيب . حتى أن الطائفة الإسرائيلية فى مصر عندما أقامت المستشفى الإسرائيلى فى القاهرة ، جعلت قسم الجراحة فيه باسم ( الدكتور على إبراهيم باشا )

إن القصص التى نسجت حول اسم على إبراهيم كثيرة ، فقد كان الطبيب الذى يأخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء .

وكان يعرف القدرات المالية لمرضاه مهما كانت مراكزهم ، فيعاملهم بالحسنى وزيادة .

أجرى جراحة لواحد من القضاة ، ثم جاء وقت المحاسبة ، فسأل على باشا إبراهيم هذا القاضى ؟

– كم راتبك فى الشهر ؟

فأخبره القاضى عن راتبه الشهرى ، ولم يلبث الدكتور العظيم أن قال له :

– سآخذ منك مرتب شهر هو كل مصاريف علاجك .

وكان هذا المرتب أربعين جنيها لا تكاد تكفى ثمن الدواء ، ولا أجر الإقامة فى المستشفى ، ولا أجر العملية الجراحية التى أجراها أكبر جراح فى مصر.

لقد أراد الدكتور على إبراهيم أن يشعر هذا القاضى براحة الضمير ، ويجعله هادئ النفس ، معتقدًا أنه دفع أجر علاجه ، ولولا الحياء من الباشا لامتنع عن أخذ شىء من هذا القاضى .

وعندما دوت شهرة الدكتور على باشا إبراهيم فى العالمين ، وأصبح عميدا لكلية الطب ، ثم مديرا لجامعة القاهرة ، لم يأخذه الغرور .

كان فى عصره واحدًا من أشهر الجراحين فى العالم .

وكان فى عصره واحدًا من أعظم الفنانين .

سمعنا أنه كان من عشاق الغناء والطرب ، ولكن المجتمع المغلق حرمنا من معرفة هواياته فى الغناء لأن بعض الفنون فى ذلك العصر كانت تعتبر من النقائص التى لا يجوز أن يقترب منها العظماء ، وكأنها إثم من الآثام .

لقد نال حسين باشا رشدى رئيس وزراء مصر أشنع التشنيع بسبب حبه لصوت ( منيرة المهدية ) ، وغرامه بغنائها ، ولم يفهم المجتمع المغلق معنى الفن الذى عشقه رئيس الوزراء .

وكان الدكتور على باشا إبراهيم يعرف هذه الحقيقة ؛ ولذلك لم يجاهر باسم صاحبة الصوت الذى كان يهواه ، ورغم ذلك لاحقته الشائعات ، ونسجت حوله الحكايات .

هذا نادرة من نوادر الزمان الذى أنكر أصحابه على عظيم مثل الدكتور على باشا إبراهيم حب الغناء والطرب ، إن الجراح الفنان صاحب الأصابع الذهبية ، كان فيما أعتقد يبعث الحياة – وسبحان خالق الحياة – بالإلهام الذى يحرك أصابعه أثناء عملياته الجراحية ، وكأنه يعزف للحب والحياة على أوتار آلة موسيقية تحركها يد لا تراها .

وهذا العازف بالمشرط ومبضع الجراح ، ومن حقه أن يستمتع بعزف القانون والعود والناى .

نادرة . . من نوادر الزمان هذا الرجل .

ولكن الهواية الكبرى لهذا الجراح الفنان كانت التحف الإسلامية ، والسجاجيد القديمة .

اشتهر الدكتور على باشا إبراهيم بأنه من أعظم هواة السجاجيد القديمة ، وقد جمع منها مجموعة نادرة ، أعتقد أنها الآن أصبحت فى متحف الآثار الإسلامية . . وليس هذا هو المهم

على كل حال . . أين مجموعته من السجاجيد القديمة ؟ وإلى أين ذهبت ؟ . . ولكن الأهم أنه كان هاويا لهذا الفن العظيم .

لقد التقيت منذ سنوات بالممرض الذى كان يعمل معه ، وحدثنى عن الدكتور على باشا إبراهيم وهواياته فى جمع التحف والسجاجيد القديمة ، فصادف ذلك هوى فى نفسى . وكان هذا الممرض قد أقام إلى جوارى فى المعادى وبنى له بيتا ، من فضل خير الباشا ، ولم يدرك بالطبع معنى الفن فى حياة الدكتور على باشا إبراهيم ، فهذا الأمر يصعب إدراكه على مثل هذا الممرض ، فقد قال لى مرةً ! .

– كان الباشا يحضر لنا زلعة ويقول إنها من الآثار الإسلامية . . ثم يحضر سجادةً مهلهلةً ويقول إنها عظيمة . . وكنا نتعجب من تصرفاته ، وإنفاقه للأموال الطائلة فى شراء هذه الأشياء .

لست أدرى لم بدأت معك الحديث عن الفنان قبل الحديث عن الإنسان ؟

يبدو أن عم محمد التمورجى . . الممرض الذى لازم الدكتور على باشا إبراهيم ، كان هو الذى يترصدنى فى الخفاء . ويدفعنى للكتابة عن الدكتور على إبراهيم الفنان .

ما علينا . .

إن هذا العبقرى الأسطورة له حكاية مع أمه عندما كان عميدا لكلية طب قصر العينى أشهر كلية طب فى الشرق كله .

جاءت الأم بثيابها الريفية لتزور ولدها فى قصر العينى ، ووصلت إلى أبواب مكتب العميد فمنعها الحاجب من الاقتراب من الباب ، ودارت مناقشة بين أم الدكتور على باشا إبراهيم وبين حاجب مكتبه ، وكان مجلس الكلية منعقدًا ، وأرهف الباشا أذنيه وهو يسمع الصوت من وراء الباب الموصد . . واستمر يرهف أذنيه ليتأكد من سماع هذا الصوت الحبيب إلى نفسه . إنه صوت أمه .

ثم هب واقفا واتجه نحو الباب وفتحه ليجد أمه واقفة أمامه وهى تأخذه بين أحضانها ، وبعد العناق الحار أخذها من يدها وقدمها لزملائه أعضاء مجلس كلية قصر العينى .

هذا الإنسان المصرى العظيم الذى وضع الأطباء الأجانب فى الركن المظلم ، عندما امتدت أنامله الذهبية بمشرطه الساحر لتجرى عملية ناجحةً لسلطان مصر فى زمانه السلطان حسين كامل . . كانت له حكاية أخرى مع الملك فؤاد ملك مصر .

ونحن حين نرى مبانى قصر العينى الجديد يجب أن نتذكر أن الذى أقام هذا المستشفى الضخم هو الدكتور على باشا إبراهيم . ولو أنصفنا الرجل لأقمنا له تمثالاً وسط هذه الأجنحة الممتدة التى مرت فوقها لمسات يده الحانية ذات الأنامل الذهبية الساحرة .

الدكتور على باشا إبراهيم عندما أراد بناء قصر العينى الجديد ، استطاع إقامة البناء .

هذا النحيل الأسمر ، الأنيق فى ثيابه ، الوئيد فى خطوته ، براق العينين فى نظرته ، هادئ اللمحات فى قسمات وجهه وملامح سحنته .

كنت كلما رأيته تخيلت أنه عابد خارج من صومعة ، فقد منحه الله من هدوء النفس والحس مالا يمنحه إلا لعباده الأتقياء .

ياويح نفسى . . كم رأيت عبادًا أشقياء ، يركعون ويسجدون . ولا يمنحهم الله النقاء بل يرتسم على وجوههم الشقاء .

كان هذا الرجل تقيا صفيا ، منحه الله هذا السر الذى حمله ابن سينا وابن طفيل وابن رشد وكلهم أطباء وهم فلاسفة الإسلام ، ثم مضى الدكتور على باشا إبراهيم فى حياتنا المعاصرة فلم نقف عند حياته كما ينبغى الوقوف لأننا مازلنا نحتفل بحياة راقصة أو مطرب أو ممثل أو ملحن .

ونحن لا نرفض الاحتفال بأصحاب الفن من هؤلاء . .

ولكننا نرفض أن نجعل لهم القيادة الفكرية فى المجتمع ؛ لأنهم مهما بلغ شأنهم ، وعلا قدرهم ، ليسوا إلا أدوات الترفيه عن حياتنا ، ولم تكن لهم ، ولن تكون لهم قيادة الفكر ، حتى لو أصبح المسرح أو الغناء أو الرقص بل كل الفنون فى الدنيا لها فلسفات ، أو لها تعبير عن فلسفات .

إن قيادة الفكر عند أصحاب الفكر .

كان المعلم الثانى فى العالم بعد أرسطو هو الفيلسوف المسلم « أبو نصر الفارابى » وكان موسيقيًا يستطيع بعزفه أن ينيم الناس ويوقظهم ويضحكهم ويبكيهم ، ولكن الذى بقى له فى رحلة حياته هو كتابه ( آراء أهل المدينة الفاضلة ) الذى وضح فيه صورة المجتمع الإسلامى المثالى ، وقلده فى ذلك فلاسفة أوربا عندما كتبوا عن هذه ( المدن الفاضلة ) أو ( يوتوبيا ) وأشهرهم ( السير توماس مور ) الإنجليزى الشهير .

لقد حرك الدكتور على باشا إبراهيم الشجون فى نفسى ، وليس هذا بسبب أن الرجل لم ينل

حقه من المعرفة والتعريف فى حياتنا المعاصرة ، فهذه كأس دائرة على أمثاله من العظماء كما يقول المثل الشعبى المصرى ، ولكن السبب الحقيقى هو أن حكايته فى بناء قصر العينى الجديد كانت أسطورة . وقد قلت لك إن الرجل كان أسطورة .

ولكن . . .

إن كل ماكتبته لك عن الفنون والعلوم والإنسانية فى حياة على إبراهيم ليس إلا تفسيرًا ضئيلاً لملامح هذه الشخصية الفريدة القادرة النادرة .

مبضع الجراح . . وحب الطرب والغناء . . وهواية التحف والسجاجيد القديمة . . وما ظهر من حياة الرجل . . وما خفى من حياته .

كل هذا يؤدى إلى فلسفته الإنسانية الرفيعة ، وأحاسيسه ومشاعره الرقيقة التى جعلته يفكر فى بناء قصر العينى الجديد عندما أحس بأن قصر العينى القديم لم يعد صالحًا للبقاء والحياة .

كان ذلك منذ نصف قرن من الزمان . . فى سنة ١٩٣٠ .

خلال تلك الفترة أقام الأمير محمد على توفيق قصر المنيل على الطراز الأندلسى ، وهو القصر الشهير الذى نراه ، وقد أصبح متحفًا .

كان الأمير محمد على توفيق وهو ابن الخديوى توفيق أكبر أفراد أسرة محمد على ، وكان طامعًا فى العرش ، مما أثار عمّه الملك فؤاد الذى كان يخشى على ولىّ عهده الأمير فاروق من الأمير محمد على توفيق .

وقرر الملك فؤاد إقامة قصر لولى عهده فاروق فى مواجهة قصر محمد على توفيق فى المنيل .

وكان الدكتور على إبراهيم باشا عميد كلية طب قصر العينى ينظر إلى هذه الأرض الشاسعة من نوافذ غرف المرضى فى قصر العينى القديم .

كان يحلم بإقامة مستشفى جديد فوق هذه الأرض التى قرر الملك فؤاد إقامة قصر ولى عهده عليها .

ولكن . . كيف ؟

وعند كان الدكتور يتحدث مع زملائه عن أحلامه فى إقامة المستشفى الجديد فوق هذه الأرض المخصصة لإقامة قصر ولى العهد . ، كانوا يظنون أنه يسبح فى خيالات لن تتحقق .

ثم جاءت اللحظة التى حققت أحلام الدكتور على إبراهيم ، فقد مرض الملك فؤاد ، واستدعى الدكتور لعلاجه ، وشفى الملك ، وكانت الأحاديث لا تنقطع بينه وبين الدكتور على

إبراهيم الذى استطاع بلباقته وذكائه إقناع الملك بالتنازل عن الأرض التى خصصها لبناء قصر ولى العهد . . لقصر العينى .

لقد عجب الناس عندما أعلن القصر الملكى تنازله عن أرض كانت مخصصة لبناء قصر ملكى لقصر العينى .

ولم يقل الدكتور على إبراهيم شيئا ، بعد أن كسب الجولة الأولى ، وأصبحت الأرض فى يده ، وبقيت جولة أخرى أصعب وأشد ، فقد كان محتاجًا لمليون جنيه لبناء المستشفى .

فى تلك الأيام خلال سنة ١٩٣٠ وما بعدها ، كانت الأزمة المالية الطاحنة قد جعلت حكومة إسماعيل صدقى باشا تضيق تضييقا شديدًا فى مصروفات الحكومة ، ولم يكن فى إمكانها الموافقة على تخصيص مليون جنيه لبناء مستشفى قصر العينى الجديد .

وإلى جانب الأزمة الاقتصادية الخانقة ، كان الصراع السياسى فى عهد وزارة إسماعيل صدقى شديدًا عنيفًا ، فقد تصدى له الحزبان الكبيران فى ذلك الوقت وهما حزب الوفد وحزب الأحرار الدستوريين ، ولم يكن يمر يوم واحد بغير وقوع حوادث واضطرابات .

لم تكن الظروف مواتية حتى لتقديم طلب إلى الحكومة لبناء مستشفى قصر العينى الجديد .

ولكن الدكتور على إبراهيم صاحب العينين النفاذتين والملامح الصامتة ، كان يمنى نفسه بالحصول على المليون جنيه من إسماعيل صدقى .

ألم أقل لك إن هذا الجراح هاوى السجاجيد القديمة كان أسطورة ؟

مرض إسماعيل صدقى ورقد فى فراشه بين اليأس والأمل ، ودخل الدكتور على باشا إبراهيم غرفة رئيس الوزراء المريض ، وعالجه ، وطمأنه حتى شفاه الله .

وقال إسماعيل صدقى :

– كم أجر الكشف فى المنزل ياباشا ؟

وقال الدكتور على باشا إبراهيم :

– مليون جنيه . .

وظن إسماعيل صدقى أن الدكتور يمزح . . ولكن على باشا إبراهيم استرسل فى شرح موضوع المليون جنيه ، وظل إسماعيل صدقى يستمع للشرح .

مليون جنيه تستطيع أن تشفى بها مليون مريض .

وكان إسماعيل صدقى فى فترة النقاهة ، وقد عاد إلى الحياة بعد أن رأى الموت بعينيه . . .

تمامًا كما حدث للملك فؤاد . الذى تنازل عن أرض قصر ولى العهد لقصر العينى .

ثم قال إسماعيل صدقى .

أعدك ياباشا بأن أدّبر لك المليون جنيه عندما أعود إلى مكتبى فى رياسة مجلس الوزراء .

وقال الدكتور على باشا إبراهيم .

– وعد الحرّ دَيْنٌ عليه يادولة الباشا .

وحصل الدكتور على إبراهيم على المليون جنيه ، وأقام هذا البناء العظيم . . . قصر العينى الجديد .

بقى شىء واحد لابد أن أحدثك عنه .

قصيدة شوقى التى قالها فى هذا الجراح العبقرى . . إنها إحدى روائع شوقى الذى يقول لنا عن الدكتور على إبراهيم . .

نال عرش الطب من أمحوتب وتلقى من يديه الصولجانا
خاشعا لله ، لم يزه ، ولم يرهق النفس اغترارًا وافتتانا
لو يرى الله بمصباح لما كان إلا العلم ، جل الله شانا
ياطرازًا يبعث الله به فى نواحى ملكه آناً . . فآنا

هذا هو الدكتور على باشا إبراهيم الذى أرى صورته فى غدواتى وروحاتى ، وأنا أرى قصر العينى القديم يعاد بناؤه من جديد .

هذا الجراح العبقرى هاوى السجاجيد القديمة قبس من روح مصر . .

كان مثل ( أمحوتب ) الطبيب المصرى القديم كما قال عنه أمير الشعراء . .

تلقى صولجان الطب من يدى أمحوتب . . . ثم سلم الصولجان لأولئك الذين يعيدون البناء من جديد . .

# الشيخ . . . أمين الخولى

## فكرة ممتدة من بغداد إلى الرباط

فى التاسع من مارس ١٩٦٦ انطفأ السراج الذى أضاء الطريق لكوكبة من المفكرين والكتاب والشعراء . . وأغمض الشيخ عينيه اللتين لم تغمضا أبدًا على ذل أو هوان ، ولم تغمضا أبدًا عن كشف الأخطاء ورؤية الحق والصواب .

كان عذبًا فى حديثه وصحبته .

كان عنيفًا فى جراءته . . رقيقًا .

صحبته ثلاثين عامًا صحبة الابن الصديق كما كان يحلو له أن يلقبنى وعرفته فى السراء والضراء – كما يقولون – فما رأيت فيه اختلافا فهو قوة دائمة ، وشعلة متوهجة ، وإقدام لا يتردد .

بدأ وانتهى قوى الفتوة ، شديد العزم ، واثق الفكر ، واضح الطريق فلم تهن قواه طوال السنين ، ولم تدركه الشيخوخة حتى أغمض عينيه ، فكان شبابًا دائمًا ، وهذا سر يهبه الله لعباده القادرين الذين اصطفاهم للأعمال العظيمة فى حياة البشر .

وكان آخر كتاب ألفه الشيخ هو أول جزء من كتاب ( المجددون فى الإسلام ) . .

وكأنه أحس بما سيجرى فى دار الإسلام عند نهايات القرن الرابع عشر من تاريخ الهجرة ، وقبل أن يطل علينا القرن الخامس عشر الهجرى .

واليوم أريد أن أحدثك عنه وهو ثاوٍ فى مرقده فى شوشاى إحدى قرى المنوفية أخصب أرض فى مصر .

هناك ولد فى اليوم الأول من مايو ١٨٩٥ . . وهناك ثوى فى اليوم التاسع من مارس ١٩٦٦ .

رحلة طولها إحدى وسبعين سنةً فى حياة الإنسان . . وقد تطول هذه الرحلات الترابية أو تقصر ، وكل رحلة لها بداية ونهاية . وتبقى بعد ذلك قيمة الرحلة . .

وكانت رحلته عظيمةً فى حب الحياة .

قال الدكتور شكرى عياد ونحن نودع الشيخ الوداع الأخير :

– اليوم . . مات أبى .

وأحس الأبناء جميعًا بأنهم يتامى ، وهم الذين ظللت أفكارهم وآدابهم عالم الفكر فى مصر وخارج مصر.

علمهم الشيخ حب الحياة .

شعراء وكتاب وأدباء وأساتذة جامعات أصبحوا يتامى فى اللحظة التى هجع فيها الشيخ الثائر الذى لم يعرف الهدوء إلى مرقده فى التراب .

ماذا كان يصنع أمين الخولى ؟ .

أقول لك فى البداية إن تلاميذه تعارفوا فيما بينهم على أن يعرفوه بلقب ( الشيخ ) . . فإذا قبل ( الشيخ ) فهو أستاذهم أمين الخولى ، وهذا اللقب له معنى حضارة الإسلام ، فهناك الشيخ الرئيس ابن سينا ، وعندنا الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ، والشيخ الأكبر الثانى جمال الدين الأفغانى . وتلميذه الأستاذ الإمام . . الشيخ محمد عبده .

وظل أمين الخولى محتفظًا لنفسه بزى الشيخ ولقب الشيخ على غير ما تعارف عليه معظم أبناء جيله الذين خلعوا الزى ، وأحبوا لقب ( الدكتور ) . . وكان هو الذى يمنح درجات الدكتوراه ، ولا يحمل لقب ( دكتور ) .

حكاية تستحق أن تذكر . . ولكننى أحدثك عن الشيخ .

حفظ أمين الخولى القرآن الكريم فى قريته ( شوشاى ) ، وجاء إلى القاهرة طلبًا للعلم ، وأقام فى بيت خاله الشيخ على عامر الذى أراد توجيهه للدراسة فى الأزهر الشريف ؟ ولكنه أصر على دخول مدرسة ماهر على مقربة من حى القلعة ، وكانت مدرسةً دينيةً إسلاميةً تعلم تلاميذها بأسلوب عصرى حديث يجمع بين ثقافة الأزهر والعلوم الحديثة ، وهى من أعجب المدارس التى شاهدتها فى حياتى .

ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى حيث أتم دراسته فى قسميها الابتدائى والعالى ، وتخرج فيها بتفوق حتى عين مدرسًا فيها سنة ١٩٢٠ . كما أسندت إليه رياسة تحرير مجلة ( القضاء الشرعى ) التى كانت تصدر عن هذه المدرسة .

وخلال هذه الفترة الباكرة من حياته اشترك فى ثورة ١٩١٩ ، وكان من أعضاء لجان

الطلبة التى كانت تقوم بتنظيم الأعمال الثورية ، فألف نشيدًا من أناشيد هذه الثورة تقول كلماته :

اضربونا بالمدافع ما لأمر الله دافع
اضربونا بالرصاص فالحياة فى القصاص

وكانت للشيخ صداقات مع رجال الثورة ، ومنهم محمود فهمى النقراشى الذى كان شيخنا دائم الود له ، وكان يزوره كثيرًا فى مكتبه عندما أصبح رئيس وزراء مصر ، وكان النقراشى يدعوه لزيارته ، ويحدد له موعدًا ثابتًا وسط مشاغل رئيس الوزراء الكثيرة ، ويمضى معه فى الحديث الطويل الذى يمتد أحيانًا إلى ساعتين .

ومن المفارقات العجيبة أن النقراشى كان يدعو عباس محمود العقاد أيضًا لمثل هذا اللقاء . ولم أر أحدًا من كبار الأساتذة يحتفى به فى مكتب رئيس الوزراء مثل الخولى والعقاد . . وكنت فى تلك الفترة موظفًا فى رياسة مجلس الوزراء .

حدث مرةً أن تأخر النقراشى عن لقاء الشيخ عشر دقائق بسبب موعد سابق طال أكثر من مدته وكان شيخنا يجلس معى ، فلم يلبث أن نظر فى ساعته ، ثم هب واقفًا ، ومسبحته فى يده ، وقال غاضبًا :

– لقد هنا هنا .

ومضى مسرعًا نحو الباب . . وانطلق إلى سيارته .

ثم جاء الحاجب يسأل :

– أين مولانا الشيخ ؟ الباشا يسأل عنه .

وقلت للحاجب :

– مولانا خرج لأن موعد المقابلة تأخر .

وكان يوماً عصيبًا ، فقد لامنى المرحوم الأستاذ حافظ جلال مدير مكتب النقراشى باشا على ترك الشيخ يخرج ، وقال إن الباشا فى غاية الألم والضيق ؛ لأنه أعد نفسه للحوار مع الشيخ ، وطلب منى أن أتصل بشيخى وأعتذر له وأطلب منه أن يحدد هو موعد الزيارة ، وأنها ستتم حتمًا لو كان هناك اجتماع لمجلس الوزراء .

ونقلت للشيخ الرسالة ، فضحك ضحكته المجلجلة ، ولمع وميض كالبرق فى عينيه ، وقال :

– لست طالب منفعة . . أنا أنفع بما أعلم .

ففى تلك الأيام كنت أكتب فى جريدة ( البلاغ ) وهى جريدة وفدية ، وكان السعديون قد أصدروا جريدة ( الأساس ) معارضة لحزب الوفد ، ورأى الأستاذ عبد الرحمن الجديلى مدير الشئون الدينية فى رياسة مجلس الوزراء منعى من الكتابة فى ( البلاغ ) لأننى موظف فى رياسة مجلس الوزراء ، وفى مركز حساس ويشتم منى أننى أعارض حكومة النقراشى وأنا فى مكتبه ، ولمح لى بالكتابة فى جريدة الأساس . . ثم تفجرت الأزمه عندما رفضت ، وقدمت استقالتى .

رويت القصة لشيخى ، فابتسم ولم يقل شيئًا .

ثم قال لى :

– أبنائى دائمًا على حق . . لو عرفت أنك على باطل ما قلت لك إنك ابنى الصديق .

وفى اليوم التالى قال لى الأستاذ حافظ جلال وهو يلوح بورقة استقالتى :

– الباشا عاتب عليك بسبب هذه الورقة . . تمزقها أنت أم تسمح لى بأن أمزقها ؟

. . الشيخ الجديلى مدير الشئون الدينية ولا شأن له بك ، ولا شأن لك به .

ثم عرفت أن شيخى حكى قصتى للنقراشى باشا .

آه من ذكريات الماضى .

لقد اكتشفت عندما اطلعت على ملف خدمتى فى الحكومة اكتشافا أذهلنى ، فقد عينت فى إدارة المطبوعات بوزارة الداخلية فى نوفبر ١٩٤٣ . فأرسل أستاذى الدكتور طه حسين بطاقةً من بطاقاته الشخصية إلى المرحوم حسن فهمى رفعت باشا وكيل الداخلية ويوصيه فيها بتلميذه . . وعرفت بعد سنين طوال لماذا استدعانى سعادة الباشا إلى مكتبه ، فاشتغلت معه أكثر من ستة أشهر عدت بعدها إلى العمل فى الصحافة والمطبوعات لأننى لم أعجب بالعمل فى مكتب وكيل وزارة الداخلية الذى كان يحكم مصر من وراء ستار .

ما أحلى الذكريات لو تعلمون .

المهم . .

مضى أمين الخولى كالشهاب الثاقب . فأصبح إمامًا للمفوضية المصرية فى روما ، وإمامًا للسفارة المصرية فى برلين ، وتعلم الإيطالية والألمانية ، وكان ذلك بين عامى ١٩٢٣ و ١٩٢٧ ، عندما عاد إلى مصر مدرسًا للقضاء الشرعى ، حتى عين مدرسًا بكلية الآداب فى

جامعة القاهرة فى ٣ نوفبر ١٩٢٨ بعد أن أغلقت مدرسة القضاء الشرعى أبوابها .

ولكن . . هناك أحداثًا فكرية خطيرة فى حياة الشيخ خلال هذه الفترة الأولى من انطلاقه ، فقد أصبح مؤلفا مسرحيا لفرقة أولاد عكاشة ، فألف لها عددًا من المسرحيات من أشهرها مسرحية ( الراهب المتنكر ) التى عرضت فى مسرح الأزبكية وقدمت على خشبة الأوبرا بغير اسم مؤلفها ، فقد اختار الشيخ لنفسه اسم ( كاتب متنكر ) ، ؛ لأنه لم يكن فى استطاعة الشيخ من قضاة الشرع أن يكتب للمسرح ، أو يكتب اسمه فى إعلانات مسرحية .

لقد نشرت النص الكامل لهذه المسرحية على صفحات مجلة ( الأدب ) بعد وفاة شيخى . . وعندما أعدت قراءتها مرةً بعد مرة عجبت كيف استطاع إقامة هذا البناء الدرامى فى هذه السن الباكرة ، وهو لم يدرس فن المسرح ، ولم تسبق له تجربة فى كتابة المسرحية ، بل إنه خلال تجربته المسرحية الرائدة ، لم يكن هناك تأليف مسرحى ، بل كانت هناك ترجمة لبعض المسرحيات أو اقتباس وتمصير لمسرحيات أخرى ، وكان ( محمد تيمور ) أعظم كتاب المسرح شأنا عندما ألف مسرحية ( عبد الستار أفندى ) ثم اقتبس مسرحية ( الرجل ذو اللحية الزرقاء ) وجعلها مسرحية ( العشرة الطيبة ) التى لحنها سيد درويش .

إن النص المنشور لمسرحية ( الراهب المتنكر ) التى كتبها الشيخ فى العشرينيات يستحق منا الدراسة والتأمل ؛ لأنه نص تاريخى فى مراحل تطور المسرح العربى . وهو إحدى الدلالات الفنية الصادقة التى عبر عنها الشيخ خلال فترة التأهيل لمفهوم : الفن والحياة ، وهو شعار جماعة الأمناء التى كونها للتعبير عن الصدق الفنى الذى يستلهم القيم الحقيقية من الواقع ليرفعها إلى مستوى الفن الرفيع .

وهذه النظرة أكدها الشيخ فى مفهوم الكلمة والنغمة . . والصورة والتمثال . . وفى كل فن سمعى أو بصرى ، ثم ارتبط بالمصرية فى عراقتها الفنية ، حتى جعل شعار الأمناء زهرة لوتس .

وأقول لك إن شيخى كان شديد الحب للرسم والموسيقى ، وذات يوم تخيل إعادة بناء قريته شوشاى ، فخطط لها رسما على شكل دائرة ، فى وسطها مسجد ، ومن حول الدائرة المحيطة بالمسجد أبنية المنافع العامة من مدارس ومستشفيات ، ودار قضاء أو دار شرطة أو مركز تموين ، إلى غير ذلك ، وتخرج من مركز الدائرة شوارع القرية وبينها الحوارى . . وكلما اتسع قطر الدائرة يحدث الاتساع والنماء فى القرية .

هذا البناء الدائرى للقرية المصرية يحمل معنى النمو المتزايد الذى لا يصطدم بالهندسة المستقيمة الممتدة ، ويحمل أيضًا تركيز الخدمات فى مركز الدائرة ، وهى نظرية فلسفية هندسية فى بناء القرى المصرية على نظام قويم يمتد بلا خلل .

ومن هذا المفهوم الحضارى الممتد فى قطر الدائرة تستطيع إدراك القيمة الفكرية للشيخ فى مفاهيم التجديد والتطور والنماء ، وهى ألفاظ فلسفية عميقة المدلول فى تفكير شيخ الأمناء . وقد عبر عنها فى كراسات صغيرة عند بدايات رحلته الفكرية فى أول محاولات التجديد ، وكان شديد الغموض عند من لايدركون معنى تحديد اللفظ فى التعبير الفلسفى المقصود من المعنى ، كما كان شديد الوضوح عند أولئك الذين يدركون معنى تحديد اللفظ فى التعبير عن المعنى .

والأمر كله واضح ، فقد كان سقراط يقول لتلاميذه :

– حددوا ألفاظكم . . أى كلماتكم المنطوقة التى تعبر عن المعنى المقصود .

وكان الشيخ شديد الحرص على تحديد الألفاظ شديد الدّقة فى اختيار كل كلمة تعبّر عن فكرة . . وهذا يتنافى أحيانًا مع البلاغة وهو أستاذ من أساتذتها الكبار .

عندما يدخل العلم مع الفن يحدث الصدام ؛ لأن العلم له قواعد ونظريات ، والفن له انطلاقات وشطحات .

وكان الشيخ فنانًا ، ولكنه كان يحكم على الفن بمقياس العلم ولعله تأثر فى ذلك بالفيلسوف الإيطالى ( بنديتو كروتشى ) صاحب نظرية الفن الواحد . . حتى أنه أخضع اللوحات الفنية لمقياس الرسم الهندسى ، فرسم عليها خطوطا بالطول والعرض لمعرفة النسب التى تحدد مكان الجمال فى كل لوحة . . وقد حدثت شيخى عن هذه الأمور لأفهم معنى الفن والحياة ، وكنت قد قرأت كتاب ( كروتشى ) عن الفن .

وخلال مناقشات طويلة أدركت أن الشيخ يؤمن بنظرية العلم والفن ، وهى نظرية الإيطالى ( بندتو كروتشى ) التى تقول بوحدة الفن : كلمة ونغمة وصورة وتمثالاً ، وتدعو إلى تحليل الأعمال الفنية عن طريق العلم .

على سبيل المثال . .

تصدى إبراهيم عبد القادر المازنى لنقد فنى عندما أقام المثال مختار تمثال نهضة مصر ، وقال المازنى إن الأسد الذى تحته مختار فيه أخطاء فنية من ناحية جلوسه وامتداد رجليه .

وتصدى عباس محمود العقاد لنقد أغانى سيد درويش ، وأبدى إعجابه بالألحان الجماعية

التى ألفها الموسيقار ، ورفض الأنغام الفردية التى كانت ولا زالت سائدة فى الغناء المصرى .

وهكذا كانت نظرية الفن والحياة بدايةً حقيقيةً للنهضة الحديثة ، وقد اتخذ الشيخ هاتين الكلمتين شعارًا لجماعتنا . . جماعة الأمناء . . ثم جعل للأمين شعارًا هو : كريم على نفسى ، وهو شعار لا يحتاج إلى شرح أو تعليق ، فمن كرمت عليه نفسه ، هانت أمام عينيه كل مذلّة تذل أعناق الرجال ، فلا حرص إلا على كرامة النفس .

ثم كان العمل العظيم الذى قام به الشيخ فى حياتنا المعاصرة ولخصه فى فكرته : مناهج التجديد . . وظل طوال حياته يدعو إلى تأصيل هذه المناهج فى دروسه الجامعية ، وأبحاثه ودراساته التى قدمها فى مصر وخارج مصر ، وكأنه موكل بالدفاع عن تحكيم العقل فى إعادة صنع الحياة ، حتى اعتقد بعض الناس أن الشيخ صاحب دعوة عقلانية لا تصل إلى القلب والعاطفة ، مع أنه كان – طيب الله مثواه – من أعظم الناس قلبًا حتى يصبح نهرًا رقراقًا ، ونسيمًا لطيفًا يملأ حياتنا بالعطف والود ، ويفتح عيوننا على مباهج الحياة .

كان قاسيًا فى قوته ، لطيفا فى محبته .

عينان نافذتان ، وضحكة مجلجلة ، وبسمة باهرة . . عنيف فى رقة إلّا أن تمس طرف ثوبه ، أو تحاول الانتقاص من كرامة نفسه .

وهو صاحب مذهب فى الجدل يشتعل من نور عقل قادر يضىء ولا يحرق ، يصادم ولا يقتل .

عندما حدثت بينه وبين العقاد المعركة الشهيرة على صفحات جريدة الأخبار القاهرية ، كان ظاهرها الصراع بين فكرين ، وكان جوهرها الخلاف حول فن كتابة التراجم ، فقد اتخذ العقاد فكرة مفتاح الشخصية فى كتابة العبقريات الإسلامية الشهيرة ، ورد عليه الشيخ طبقا لنظرية المنهج التجديدى فى كتاب ( مالك بن أنس . . ترجمة محررة ) ، وهذا الكتاب يوضح منهج الشيخ فى كتابة تراجم الأشخاص بأسلوب علمى شامل متكامل يبدأ مع الشخصية المدروسة منذ كانت جنينا ، حتى يصل بها إلى مكانها فى الحياة .

منهجان مختلفان بين أمين الخولى وعباس محمود العقاد . . والخلاف بينهما أساسى ، حيث لا لقاء عند نقطة واحدة .

هذه المعركة ليست عداءً بين الخولى والعقاد ، ولكنها خصومة حول رأى . . ونحن نحترم العقاد ولا ننكر قيمته الفكرية العظيمة ، ولكننا نخاصمه فى آرائه بلا حقد أو كراهية ، ومع

أننا ننكر عليه حياته السياسية المتقلبة لكننا نهمل هذه الحياة السياسية وننظر إليه كمفكر رائد وعظيم . . ولم يفهم العقاديون هذه الأفكار حتى اليوم ، ولا زلنا نتعرض لهجومهم بسبب سوء الفهم أو سوء التفاهم .

لا أريد أن أطيل معك الحديث حول هذه القضية .

هناك قضية أهم وأخطر . . وكان للشيخ فيها رأى . . وهى قضية تجديد الإسلام ؟ وكان آخر كتبه هو كتاب ( المجددون فى الإسلام ) ، وقد لا يعلم كثيرون من المعاصرين أن الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر ، سئل عندما عزلوه عن مشيخة الأزهر ومشيخة الإسلام عن الرجل الذى ترشحه شيخًا للإسلام وشيخًا للأزهر ، فقال :

– الشيخ أمين الخولى .

ولم يصل الشيخ إلى مشيخة الأزهر ، ويا ليته وصل ؛ ليجعل من الأزهر جامعة الإسلام . فقد كان قادرًا بمنهجه التجديدى على متابعة أفكار الأستاذ محمد عبده وأستاذه الشيخ الأكبر جمال الدين الأفغانى .

أقول لك فى إيجاز شديد . .

• الشيخ هو صاحب منهج تجديد الدراسة القرآنية على أساس علمى عصرى ، يدرك المفهوم العلمى والمفهوم البيانى فى إعجاز القرآن . . وهو صاحب فكرة الفهم الواعى الدقيق للكلمة القرآنية فى دورانها مع كل آية من آيات الكتاب الكريم .

• الشيخ هو صاحب منهج تجديد البلاغة والنحو ، وكان هدفه فى التجديد هو فهم المعجزة القرآنية فهمًا بلاغيًا ولغويًا يمهد للفهم الموضوعى للقرآن فهمًا صحيحًا يحقق معنى التحدى القائم الدائم بأن يأتوا بسورة من مثله تتكون من ثلاث آيات وهى سورة الكوثر ﴿ إنّا أعطيناك الكوثر . فصلِّ لربك وانحر . إن شانئك هو الأبْتر ﴾ .

• الشيخ هو صاحب فكرة تجديد الإسلام فى العصر الحاضر ، وقد وضح نظريته فى أحاديثه الإذاعية الشهيرة ( من هدى القرآن ) التى ألقاها من إذاعة القاهرة ، وجمعها فى كتب من أشهرها كتاب ( فى أمواهم ) الذى وضح النظرية الإسلامية فى بناء الاقتصاد الإسلامى فى العصر الحاضر ، وأسسه ومبادئه فى كتاب ( المجددون فى الإسلام ) الذى أكد نظرية الشيخ فى أن التجديد هو قتل القديم فهما ودرسا . . فالتجديد الإسلامى المعاصر لابد له من عودة إلى السلفية حتى تصل إلى المستقبلية .

لقد خضت معك بحرا زاخرا فى سطور قليلة لا تحوى فكر الشيخ إلا بمقدار . . ولكن ماذا أصنع ؟

أنا أكتب هذه الكلمات لأتذكر بعض ملامح هذه الشخصية القادرة الباهرة . . شخصية شيخى الذى عشت معه أكثر من ثلاثين عامًا .

وأنا أعتذر لشيخى لأننى لم أكتب ( حياته ) . . لاأزلت خائفا من كتابة حياته . . كيف أكتب حياة العاصفة والنسيم . . حياة العقل والقلب . . حياة الجبل الأشم والنهر المتدفق ؟

كيف أكتب حياة أمين الخولى ؟

قلت يوم أغمض عينيه إنه فكر لا يموت .

وأقول يوم أحنى جبهتى لذكراه : إنه فكر لا يموت .

obeikandl.com